مناقشة رأي في علامة التأنيث

محمد شيت صالح الحياوي - بغداد

في مجلة (المورد) الشامخة — المجلد التاسع العدد الاول — مقال جليل جاء بالعنوان الآتي : —

— ديوان الأدب لإسحاق بن ابراهيم الفارابي — الجزء الاول، تحقيق الدكتور، احمد مختار عمر، القاهرة 74 — بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب —

والحقيقة ان كاتب المقال قد حالفه التوفيق واجاد في نقده وتعليقه ايما اجادة ، ولا عجب فهو بحاثة مشهور ومحقق بارع ضرب بسهم وافر في مجالي الأدب واللغة فيما قدم من بحوث وما انتج من مؤلفات تشهد بطول باعه وسعة اطلاعه . ومع ذلك فالكمال لله ، ولن ينجو كاتب من زلل ولاسيما في معرض الاجتهاد وهذا ماحصل في المقال آنف الذكر — برأيي — الذي قد اكون مصيبا فيه وقد اكون مخطئا ، والقول الفصل اولا وآخرا للعلم والتفكير السليم. يقول الكاتب ص 416 ما نصه (وعندي أن علامة التأنيث واحدة في العربية هي هاء التأنيث كما في حجرة وفاطمة التي تتحول تاء في درج الكلام . واذا عرفنا ان علامة التأنيث هذه أي الهاء تقتضي ان يكون قبلها فتح وعلى هذا يكون الفتح العلامة الأصيلة للتأنيث وهي نفسها الف التأنيث المقصورة في ليلى وسلمى وهي نفسها الألف الممدودة في صحراء وحسناء ، وما الفتح القصير كالفتحة والفتح المتوسط كالألف المقصورة والفتح الطويل كالألف الممدودة إلا صوت واحد يختلف في فسحة طوله .)

ويقول ايضا في الحاشية (وهذا الفتح هو علامة التأنيث ولأن الفتحة لا ترسم في الخط العربي ذيلت الكلمة بهاء لتقرأ مفتوحة الآخر قبل الهاء ثم رسم الفتح فكان الألف المقصورة والألف الممدودة ولو عرفت ان ليلة وليلى وليلاء مادة واحدة أدركت أن علامة التأنيث واحدة فيها جميعا وهي الفتح بصوره الثلاثة)

فنحوى اجتهاده ما هو آت : —

اولا — علامة التأنيث واحدة في العربية هي هاء التأنيث كما في حجرة وفاطمة التي تتحول تاء في درج الكلام .

ثانيا — هاء التأنيث لا تأتي الا بعد حرف مفتوح.

ثالثا — الفتح هو العلامة الاصيلة للتأنيث .

رابعا — الفتحة لا ترسم في الخط العربي ولذلك ذيلت الكلمة بهاء ليقرأ ما قبلها مفتوحا .

خامسا — حينما رسم الفتح استغنى عن الهاء وتطورت الفتحة واستطالت فصارت الفا مقصورة كما في ليلى وسلمى ثم الفا ممدودة كما في صحراء وحسناء .

سادسا — بما ان فتحة الحرف الثالث مشتركة في الكلمات الثلاث ليلة ليلى ليلاء وهي مادة واحدة لذلك فالفتحة وحدها هي علامة التأنيث لا غيرها .

لذلك كله نرجو ان يسمح لنا بمناقشة أقواله وآرائه عسى ان نتوصل الى نتيجة حاسمة .

أولا — سمى التاء المربوطة هاء التأنيث لأننا حين نقف عليها نلفظها هاء ، وفاته أن الأصل هو الدرج لا الوقف كما أن من العرب من يقف عليها ويلفظها تاء ، فهى تاء أقوى من هاء والتسمية للأقوى وشتان بين المخرجين فالهاء حلقية والتاء نطقية .

ثانيا — لا يشترط أن يكون ماقبل التاء المربوطة حرفا مفتوحا فقد يكون ألفا ، والألف لا يكون إلا ساكنا مثل فتاة وقضاة .

ثالثا — ادعى أن الفتح هو العلامة الأصيلة للتأنيث كما ادعى أن الهاء وحدها هى علامة التأنيث أفلا يتناقض القولان ؟ أم يريد أن يقول : أن للتأنيث علامتين اثنتين واحدة أساسية هى الفتحة والأخرى فرعية هى الهاء ، فخانه التعبير ولم يحسن التوضيح.

رابعا — التاء كما سميناها أو الهاء كما سماها زائدة على رأيه جيء بها لإظهار الفتح الذى قبلها لأنه غير مرسوم وليس لها غرض آخر أو فائدة أخرى وهو رأي ضعيف على ما أظن لا يتناسب مع دقة ملاحظات الكاتب فيما يحلل ويدقق ، فقد شرح اللغويون هذه التاء وبينوا أغراضها المختلفة فى مواضعها المتعددة، ولا حاجة لتسطير ما وضحوا وبيان ما قرروا.

وإني — بتواضع — أجازف ولا أسمي التاء المربوطة هاء كما سماها فحسب بل لا أعتبرها علامة تأنيث ! ، فبعد أن فحصت مواضعها وحللت أغراضها تبين لي أنها تعطي معنى واحدا يشترك فيه جميع الأمثلة المختومة بها ، وهذا المعنى المشترك هو ما نسميه (الوحدة).

ومعنى الوحدة هو الذى يجعلنا نعامل الكلمة معاملة المؤنث سواء أكان مجازيا أم حقيقيا أو مذكرا أو جمعا كما سنرى. والوحدة جزيئةأو نسخة أومجموعة قد تمثل عددا رقمه واحد كما قد تمثل عددا يزيد على اثنين ، وهاكم أمثلتها مع الشرح : —

شربة (بفتح الشين): وحدة من الشرب
شربة (بكسر الشين) : وحدة لهيئة الشرب
تمرة : وحدة من ثمر التمر
صخرة : وحدة من جماد الصخر
بطة : وحدة من الطير المسمى بطا
طلحة : وحدة من شجر الطلح
فأرة : وحدة من الفئران ، أما الفأر فليس بوحدة بل فردا من الفئران ، وهكذا جاء تأنيث فأرة من الوحدة لا من الفأر الذى بدوره جاء تذكيره من الجمع أيضا !

حليمة : وحدة من الحلم متصفة به ، أما حليم فليس بوحدة بل فردا من الحلم متصفا به

رحالة : وحدة من الرحل متصفة به قوية

قضاة : وحدة (مجموعة) من معنى القضاء .

عباقرة ، عبابلة ، مغاربة : وحدة (مجموعة) من العبقرية وعبد الله وأهل المغرب على التوالى .

حجرة : وحدة من معنى الحجر بفتح الحاء وسكون الجيم)

تذكرة : وحدة من معنى التذكير
خبرة : وحدة من معنى الخبر
نسخة : وحدة من معنى النسخ
سابقة وحدة من معنى السباق
هبة : وحدة من معنى الوهب
بنية : وحدة من معنى البناء أو البنيان

اعانة : وحدة من المعنى المستفاد من أعان — يعين
استقامة : وحدة من المعنى المستفاد من استقام — يستقيم ، فاذا أردناها لمرة واحدة اى ليس وحدة أو نسخة مكررة قلنا استقامة واحدة !

لغة : وحدة من معنى اللغو . . الخ التاءات المربوطات .

ونستفيد من هذه الامثلة ما يأتى :

أ — لو كانت الكلمة المختومة بالتاء المربوطة مؤنثة وكانت التاء علامة التأنيث لجاز حذف التاء وتحولت الكلمة الى مذكر وهذا لم يحصل الا مصادفة فى فأرة — فأر ، فتاة — فتى ، كلبة — كلب وأمثالها وقد شرحنا ذلك .

ب — لو كانت مؤنثة لما نقل معناها الى مذكر مثل طلحة حمزة معاوية ... الخ

جـ — لو كانت مؤنثة لما دلت على جمع مذكر مثل قضاة عباقرة . . . الخ

فالمؤنث اذا ما دل على التأنيث فى الوضع والمعنى المعجمى أو فى الصيغة سواء كان مختوما بالتاء أو بالالف أو لم يكن مختوما بهما .

خامسا — أما الألف المقصورة والألف الممدودة فليستا وحدهما علامتي تأنيث لان التأنيث سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا مفهوم بالصيغة ففى سَلمى وعَطشى

وفضلى جاء التأنيث من وزني فعلى وفعلى بفتح الحرف الاول أو ضمه وسكون ثانيهما ووقوع الالف في رابعهما .

وفي صحراء وحسناء وحمراء جاء التأنيث من وزن فعلاء بفتح فسكون مع الالف والهمزة وفي كلا النوعين نجد الفتحة قبل الالف كما نجدها قبله حيثما جاء . ولو حذفنا الالف أو الالف والهمزة لم يكن لما تبقى من الكلمة اى معنى ، ولذلك فالالف ليست وحدها علامة تأنيث لانها امتداد للفتحة كما ذكر الكاتب !. وبعض المؤنثات لامذكر له مثل صحراء وبعضها له مذكر ذو صيغة لا علاقة لها بصيغة المؤنث مثل أفضل مذكر فضلى واحمر مذكر حمراء .

ومن الظريف أن كلمة عطشى مثلا التي زعم الكاتب أن الفها دال على أنوثتها اذا أضيف اليها نون فصارت (عطشان) تحولت الى مذكر فكيف صارت الكلمة الجديدة مذكرا مع أن علامة التأنيث (الألف) على زعمه باقية أيضا ؟ !

سادسا — بقى اشتراك الكلمات الثلاث (ليلة ليلى ليلاء) في المادة وفي فتحة الحرف الثالث وقد تكلمنا عن الفتحة ما فيه الكفاية . اما المادة فلو كانت علامة التأنيث واحدة في الكلمات الثلاث وهي الفتحة — على رأيه — لكان المعنى واحداً لاثلاثة معان .

فليلة ليست مؤنث ليل لأن الليل نفسه جنسان تارة يكون مذكرا وتارة يكون مؤنثا ولذلك لا يحتاج الى مؤنث بل معنى (ليلة) المختومة بالتاء وحدة من وحدات (الليل) كما مثلنا وشرحنا .

واما ليلى وهي كوكب الزهرة عند العوام لا الخمر فمعناها — على ما اتصور — ذات الليل او ربة الليل لانها اشد الكواكب السيارة ضياء .

واما ليلاء من الليالي فهي الفريدة أو المتميزة في أمرها ، كالطول أو الظلام أو غيرهما .

وبعد فاني أرى التاء المبسوطة الزائدة التي تأتي مع الفعل أو الاسم هي علامة تأنيث كما في ذهبت ورجعت والتلميذة تذهب وترجع وكما في التلميذات مهذبات حيث التاء تدل على التأنيث والألف يدل على الجمع ولا يمكن فصلهما ولابد أن يأتيا مجتمعين .

قضية اخيرة اذكرها لعلي أكون مصيبا فيها وهي على عكس ما ارتأى الكاتب ، فان كانت الفتحة عنده علامة تأنيث — وقد فندنا ادعاءه — فان الكسرة عندي قد تكون من علامات التأنيث والدليل ورودها في كثير من مواضع التأنيث انتِ ذهبتِ تذهبِين لن تذهبِي عندكِ كتابكِ هذِى هذِهِ ذِهِ هاتِهِ تِهِ تِلك التِى اللاتِى اللائِى حذامِ قطامِ يالكاعِ وياخباثِ . عالماتٍ كاتباتٍ (في حالتي الجر والنصب) . . . الخ

خلاصة بحثنا كما يلي :

1) التاء المربوطة لا الهاء تأتي لاغراض مختلفة وتتفق معانيها جميعا في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) فهي علامة على الوحدة اصلا لا على التأنيث.

2) الألف المقصورة والألف الممدودة اذا وجدت إحداهما في كلمة وكانت تلك الكلمة مؤنثة كان التأنيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الألف .

3) علامة التأنيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل أو الاسم .

4) قد تكون الكسرة علامة تأنيث .